

الجنس في سياق المجتمع المغربي

Sex in the context of Moroccan society

أ. عبد الإله فرح

باحث في علم الاجتماع
جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب

abdelilah.farah89@gmail.com



الجنس في سياق المجتمع المغربي

أ. عبد الإله فرح

ملخص:

تقدم المقاربة السوسولوجية منظورًا علميًا وفريدًا حول القضايا المتعلقة بالجنس، والذي يتجاوز البعد البيولوجي للجنس، لأنه يؤكد على الأسس الاجتماعية والثقافية للجنس. وفي ضوء الأدبيات السوسولوجية التي تهتم بالجنس، يأتي هذا المقال من حيث أنه يركز على الجانب الجنسي للمجتمع المغربي، كما أنه سيساعد القارئ العربي أو الباحث العربي على فهم العقلية الجنسية للمجتمع المغربي. كلمات مفاتيح: السوسولوجيا، الجنس، الهيمنة الذكورية، المجتمع، الثقافة.

Abstract:

The sociological approach offers a unique scientific perspective on issues related to sexuality, which goes beyond the biological perspective of sex, as it emphasizes the social and cultural foundations of sex. In light of the social literature regarding sex, this article comes in that it focuses on the sexual aspect in Moroccan society, as well as that it will help the Arab reader or Arab researcher to understand the sexual mentality of Moroccan society.

Keywords: Sociology, Sex, Masculine Domination, Society, Culture.

1- تقديم:

يأتي اهتمامنا بموضوع الجنس في السياق المغربي على خلفية مجموعة من ردود الأفعال التي خلفتها بعض المقالات العلمية التي قمنا بنشرها حول الحب والجنس في العالم الافتراضي، من طرف بعض الباحثين والأصدقاء، وهي ردود أفعال تتراوح ما بين الإشادة بإثارة موضوع في صلب الحياة الاجتماعية للأفراد من جهة، والانزعاج من إثارة موضوع يعد من التابوهات من جهة أخرى، وبالتالي فهذه المواقف تعبر عن ثنائية الكشف والإخفاء التي تميز موضوع الجنس في المجتمعات العربية بصفة عامة.

تقدم المقاربة السوسولوجية منظورا علميا وفريداً حول القضايا المرتبطة بالجنس، مثل الثقافة الجنسية أو الفعل الجنسي، وهو منظور يتجاوز البعد البيولوجي للجنس، نظرا إلى كونه يؤكد على الأسس الاجتماعية والثقافية للجنس؛ حيث لا يتم بناء الجنس بيولوجياً وحسب، بل يتشكل بفعل عوامل اجتماعية وثقافية. وقد سبق لعالم الاجتماع الفرنسي ميشيل مافيزولي (Michel Maffesoli) أن "عبر عن تصور مفاده أن الحيوية الاجتماعية تجد تعبيرها العميق والأصيل في معطين أساسيين وهما المعطى الديني والمعطى الجنسي، أو فيما يحلو لـ شورشك تسميته بثقافة المشاعر"¹. وبالتالي، تأتي أهمية هذه المقالة، في كونها تركز على المعطى الجنسي، فضلا على أنها ستمكن القارئ العربي أو الباحث العربي من فهم الذهنية الجنسية للمجتمع المغربي.

2- الجنس كدلالة على القوة الذكورية:

يعتبر الجنس في المجتمع المغربي، من أكثر المواضيع حضورا في الحوارات اليومية على الرغم من أنه يدخل في إطار التابوهات أو الموضوعات المحرجة؛ فهو شائع ومتداول كثيرا بين الشباب وغيرهم من فئات المجتمع الأخرى. ويتم التعبير عنه بألفاظ أخرى لها دلالات جنسية²؛ وكثيرا ما نجدها منتشرة في الهوامش والأحياء الفقيرة بالمدن، كما أنها تعرف انتشارا واسعا في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيديسبوك . الواتساب . اليوتوب)، وهو ما يعني أن الجنس لم يعد موضوعا خاصا، بل بات ينتمي إلى "المجتمعات السرية"³ التي تحدث عنها جورج زيمل (Georg Simmel)، والتي تعبر عن قيام مجتمع ثان مواز للمجتمع الأول الظاهر والمعلن. فقد أصبح الجنس، يتم نطقه بين الأفراد في سياقات اجتماعية متعددة، مثل السخرية من بعض الشخصيات، وإلقاء النكات وغيرها. وذلك لأن الذهنية الذكورية أصبحت مكشوفة ومتأثرة بالمساحات

1- مالك شبلي، 2010، الجنس والحريم روح السراري: السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا الشرق، ص5.

2- من هذه الألفاظ المغربية التي يتم استخدامها في الحياة اليومية والتي لها علاقة بالجنس: الحوا، فريو كريو، التبركيل، التيتشي، التنيك، التبريتيش، الزب، القلوة، الطبون، الكر، الزامل، القواد، قجة، بوركابي.

3- ميشيل مافيزولي، 2021، في ظلال ديونيزوس: مساهمة في سوسولوجيا المجون، ترجمة عبد الله زارو، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ص133.

الافتراضية، مما جعلها تساهم في خلق خطاب اجتماعي حول الجنس وحول الجسد، وبشكل أكثر دقة، حول الممارسة الجنسية بين الرجل والمرأة.

وعلى الرغم من أن المجتمع المغربي مجتمع إسلامي، ويمكن النظر إليه على أنه مجتمع محافظ من جهة. ومن جهة أخرى، متطلع نحو الحداثة، فإن التعبيرات الجنسية مهيمنة بصورة لافتة في الخطاب الذكوري، فلا يمكن لأي كان أن ينكر بأن الكلام عن "الجنس" غائب عن التداول في الحياة اليومية. صحيح أن هناك خطابات أخلاقية حول الجنس تدخل في إطار العار أو "الحشومة"¹، أي ما هو مرفوض اجتماعيا، لكن ذلك لا يمنع من بروزها على السطح الاجتماعي. وعلى سبيل المثال، فإن الجنس في المجالات الحضرية، مثل الدار البيضاء وسلا والقنيطرة، قائم أساسا على الهيمنة الذكورية، وهو مجال متداول بين الأقوياء في المجتمع؛ فمن خلال الجنس يقوم الأفراد بفرض سلطتهم على الآخرين بغض النظر عما يمكن أن يواجهوه من ردود الأفعال. فالقوة الجنسية تحضر بقوة على الألسن، فهي القوة المتحكمة والمستعملة في الخطاب بين أفراد المجتمع الذكوري²، حيث توظف في السباب والشتم والتحقير، ويتمثل ذلك في مجموعة من التعابير، مثل: (ابن العاهرة)، (سأمسك بك وسأضاجع والدك المثلي)، وهي تعبيرات شائعة في الخطاب الذكوري اليومي.

كما نجد أيضا بأن النساء متأثرات بالخطاب الذكوري الجنسي. ويظهر ذلك أثناء نشوب النزاعات والشجارات التي تقع في الهوامش والأحياء الفقيرة بالمدن، خصوصا حينما تشير المرأة إلى "عضوها التناسلي" (وضع اليدين على منطقة الفرج)، كوسيلة لتوجيه الشتيمة والازدراء والإهانة إلى الأفراد وتحقيرهم. وهو سلوك مأخوذ عن الرجال، من خلال الإشارة إلى القضيب والذي يقوم أساسا على توجيه الشتيمة. وبالتالي، لا تعتبر الأعضاء التناسلية في المجتمع المغربي مجرد أعضاء بيولوجية فقط، بل هي ثقافة وسلوك. وبالتالي، حينما تقوم المرأة بالإشارة إلى عضوها التناسلي، فإن ذلك يعني سلوكا مهينا للطرف الآخر أو طريقة للاحتجاج عليه. مثله مثل التغوط في وجه عدوها أو منافسها. ذلك أن "أشكال العنف في أوساط النسوان اليوم راجع لإرث متحدر من رغبتين التليدة في اجتراح (عنف تعويضي) ظللن يمارسنه على مدار الأحقاب والعصور بغية كبح السلطة الذكورية الرعناء، وبالتالي إرساء حالة من التوازن الهش بين الشقين الذكوري والأنثوي في بنية المجتمع"³. وهذا يخالف ما يقال بأن اللغة الجنسية لدى الرجال قاسية ومختلفة عن اللغة الجنسية عند النساء اللواتي تستخدم أشكال تعبيرية مرموقة، نظرا لأن المرأة في حديثها تولي اهتماما للوضع الاجتماعي أكثر من الرجل⁴.

1- سمية نعمان جسوس، 2003، بلا حشومة: الجنسانية النسائية في المغرب، ترجمة عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

2- Osire Glacier, 2017, Masculinity, and Sexuality in Morocco and Hollywood :The Negated Sex, Palgrave Macmillan, P.42.

3- ميشيل مافيزولي، 2021، في ظلال ديونيزوس، مرجع سابق، ص 162.

4- Ennaji, M. And F. Sadiqi, 1992, Introduction To Modern Linguistics. Afrique- Orient: Casablanca, P.80.

بالنسبة إلى السوسولوجيا، فإنها لا تنظر إلى الأعضاء التناسلية بمعزل عن الخطاب الاجتماعي حول الجسد. وعلى سبيل المثال، هناك أفراد يصعب عليهم نطق الأعضاء التناسلية باللهجة العامية (الدارجي) أمام الآخرين، وذلك لأنها ألفاظ مقرونة بالجنس، وتدل على قلة الأدب وانعدام الحياء. ومع ذلك، يقوم البعض بانتهاك تلك الكلمات المحرجة في الشوارع والأحياء الهامشية، خصوصا بين المراهقين والشباب، لكونها ألفاظ متصلة بالجسد وتعبر عن هويتهم الجنسية، وفي كثير من الأحيان عن قوتهم وسيطرتهم. وكما يقول مافيزولي: ف "العضو الجنسي للرجل والمرأة يرمزان معا للقوة والاقتدار، أي للعنف الممارس وفق طقوس ولنظيره المضاد أيضا"¹. كما أنه من خلال النظر إلى وضعية التبول للجنسين: (وقوف الرجل، وجلس المرأة)، نستطيع أن نفهم ما يمثله ذلك على مستوى اللاشعور في المجتمع الذكوري، فوضعية الجلوس عند المرأة تدل على أن مكانها هو الجلوس في البيت، أي أن دور المرأة هو الطبخ وتلبية حاجيات الرجل.

3- التمييز الجنسي في المجتمع المغربي:

تبدو العلاقات الاجتماعية بين الجنسين قائمة على الهيمنة الذكورية، بسبب مجموعة من القواعد التقليدية المتحكمة، حيث يشكل التمييز الجنسي إحدى هذه القواعد التقليدية، والذي يترتب عنه الفصل بين الجنسين، أي "المنع المطلق لكل لقاء بين الرجال والنساء الذين لا تربط بينهم قرابة أو زواج، وتقسيم المكان الاجتماعي إلى قسمين: الأمكنة الخاصة بالرجال من جهة والمكان الخاص بالنساء من جهة أخرى وهو المكان المنزلي"². فإلى حدود الثمانينيات من القرن العشرين، لم تكن المرأة في بعض البوادي والقرى تخرج من البيت إلا نادرا. كما "تميزت بعض البوادي والقرى بأنها كانت تحاول فرض مراقبة صارمة على شبانها بحيث لا يمكنهم الاقتراب من النساء"³، إلى الحد الذي كان يدفعهم إلى القيام بممارسات جنسية تعتبر منحرفة في بعض الأحيان، مثل الاستمناء أو العادة السرية، أو الولوج إلى بيوت الدعارة، أو ممارسة الجنس مع الحيوانات.

يمكن القول، إن القواعد التقليدية ما تزال تهيمن على المجال العام في المدن المغربية، فولوج النساء إلى بعض المجالات المخصصة للرجال ما يزال يخلق صداما بينهما في بعض الأحيان، وهو ما يجعل من الخطاب الذكوري يقوم أساسا على المضايقات الجنسية تجاه المرأة، "من قبيل: (مدلحا)، أي أنثى ذات أرداف مكتنزة"⁴، أو (لديك مؤخرة كبيرة). وهو خطاب موجه إلى المرأة التي تظهر تفاصيل جسدها؛ حيث يتخذ البعض من التحرش الجنسي ذريعة لمهاجمة النساء، لأنهن في النظرة الذكورية، فشلن في الالتزام بقواعد

1- ميشيل مافيزولي، 2021، في ظللال ديونيزوس، مرجع سابق، ص 165.

2- فاطمة المرنسي، 2005، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، ط 4، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 93.

3- المرجع نفسه، ص 96.

4- مالك شبلي، 2010، الجنس والحريم روح السراري، مرجع سابق، ص 93.

الآداب، مثل اللباس المحترم والحجاب باعتبارهما شرطين لستر المرأة وعدم السقوط في الانجذاب الجنسي. لهذا، فإن العقلية الذكورية المتحكمة في المجال العام، تفترض أنه يجب على النساء تغطية أجسادهن وشعرهن في الأماكن العامة. لذلك، فإن سيطرة الرجال على النساء تكمن أساساً من خلال "الثقافة" باعتبارها نوعاً من الرأس المال الرمزي الذي يساعد الرجال في الاحتفاظ بهيمنتهم وإعادة إنتاجها في جميع المجالات، بما فيها مؤسسة الزواج.

يرى الباحث عبد الصمد الديالمي أن مثل هذه الثقافة تبدأ من داخل الأسرة نفسها، خصوصاً في المراحل الأولى من التنشئة الاجتماعية من خلال تقسيم الأعمال المنزلية حسب الجنس: الأولاد يخرجون، والبنات يبقين في المنزل. للرجل حضور وصوت في المجال العام، أما الفضاء المسموح به للنساء فهو المنزل فقط. أما المدرسة، فإنها تنقل هذه الثقافة القائلة بأن المرأة أقل شأنًا، وأن عليها إخفاء جسدها، وأنها هي أصل الفوضى الاجتماعية والشر. إذ تصبح هذه الأفكار جزءاً من النظرة الذكورية في مرحلة الطفولة المبكرة¹.

وعليه، فإن الأسرة والمدرسة، وحتى وسائل الاتصال والإعلام، تلعب دوراً مهماً في تعزيز الهيمنة الذكورية وفي تبرير الخطاب الذكوري. ومنه تكريس بعض الرؤى والتصورات مثل اعتبار الرجل عاجزاً عن السيطرة على رغبته الجنسية، وهو ما يبرر ضمناً للرجال، أن يكونوا أول المبادرين بالاقتراب من النساء. وبالتالي، يصبح من المقبول اجتماعياً وأخلاقياً أن يضايقوا النساء كوسيلة مشروعة لإثبات تفوقهم ورجولتهم. وفي المقابل، يفترض في الفتيات والنساء عموماً، تجنب كل ما يتعلق بالجنس، حيث يُطلب منهن قمع حياتهن الجنسية إلى ما بعد الزواج. وقد أوضحت الباحثة سمية نعمان جسوس بأن المجتمع المغربي يعيش مفارقة عجيبة، فقبل الزواج يعتبر الحديث حول الجنس حراماً وعبثاً، لكن بين ليلة وضحاها يصبح موضوع الساعة في ليلة الزواج (ليلة الدخلة)، حيث تقول: "تبدو الظاهرة مثيرة للاستغراب، ولا سيما أن التربية تجعل النساء ينشأن منذ نعومة أظافرهن على حشو أذهانهن بالمنوعات المتصلة بالوظيفة الجنسية. التي تتعرض فجأة لانتهاك عنيف"². لهذا السبب، تعتبر الممارسة الجنسية في المجتمع المغربي بمثابة مقياس لتصنيف النساء وتحديد وضعهن الاجتماعي داخل المجتمع، مثل "بنت دارهم" (فتاة شريفة)، "بنت الزنقة" (فتاة الشارع)، "مرت الرجل" (زوجة الرجل).

علاوة على ذلك، وفيما يتعلق بالرجال، فإن المجتمع المغربي يقوم بإعداد الذكورة من خلال مجموعة من الآليات الاجتماعية، أحد هذه الآليات تتمثل في ممارسة الدعارة، وعلى الرغم من أنها ممارسة مرفوضة على المستوى الديني. فإن هناك "جزءاً كبيراً من الرجال قد أقاموا أول علاقة جنسية لهم مع عاهرة، وفي سن مبكرة جداً. بمعنى آخر، الدعارة تعد الأولاد للرجولة. فعن طريق شراء الجنس، (...) فإنهم يمارسون الجنس

1- Interviews with Abdessamad Dialmy: «Arab men are told they are superior to women from a very early age», By Germán Sierra, 09/01/2018,

<https://www.uoc.edu/portal/en/news/entrevistes/2018/001-abdessamad-dialmy.html>

2- سمية نعمان جسوس، 2003، بلا حشومة: مرجع سابق، ص 199.

بشكل فردي كمالكين وليس كشركاء"¹. إلى جانب ذلك، فإن الخطاب الذكوري يفرض على الرجل أن يكون فحلا إذا أراد أن يكون معترفا به في المجتمع، وعلى وجه التحديد المجتمع النسائي. وهو ما يمكن ملاحظته في بعض المفردات التي تستخدمها النساء، مثل "بوركابي"²، للتعبير عن الرجل الفحل.

4- الجنس واقتصاد العظمة:

أصبحت اللغة الجنسية مرئية وظاهرة في مواقع التواصل الاجتماعي، مثل منصة اليوتيوب (Youtube)³؛ إذ يعتبر من أكثر المنصات الرقمية زيارة في العالم، وهناك العديد من الأدلة على وجود تأثيرات للجنس في موقع اليوتيوب، فهو يحتوي على موضوعات جنسية تجتذب أعدادا غفيرة من الذكور والإناث على حد سواء. وعلى سبيل المثال، يتوفر الموقع على مقاطع فيديو لنساء مغربيات يشاركن حياتهن اليومية بالصوت والصورة مع زوارهن، ومن خلال تلك المقاطع يقمن بإحياءات جنسية من أجل إثارة الجمهور واستقطابه، بهدف حصد أكبر عدد من المشاهدين، نظرا لأن منصة اليوتيوب توفر لأصحاب المقاطع إمكانية الحصول على دخل مادي أو أرباح مقابل عدد من المشاهدات. كما يوجد بالمنصة مقاطع فيديو لنساء يستعملن لغة جنسية للتعبير عن مواقفهن وآرائهن، وذلك قصد جذب الزوار. فضلا على أن هناك نساء يعملن على إظهار أعضائهن التناسلية من خلال ارتداء ملابس شفافة، وهن يقمن بأعمال منزلية كالطبخ والتنظيف وغيرها. إذ أصبحت هذه الممارسات تشبه إلى حد كبير المواد الإباحية وألعاب تمثيل الأدوار على الكمبيوتر والهواتف المحمولة. كما أنها ممارسة توحى بأن النساء "لم يولدن لأنفسهن، وبالتالي، ليس لهن حياتهن الخاصة"⁴.

في هذا الإطار، يمكن الإقرار بأن المرأة بالنسبة للنظرة الذكورية، أصبحت تعبر عن هوية جنسية بالدرجة الأولى، لأنها تمثل مجالا للإغراء والإغواء. وذلك راجع أساسا إلى أن الأنظمة الرأسمالية التي تسعى إلى تحقيق الربح، أصبحت تستغل الجسد الأنثوي وتؤثر عليه، وتدخله ضمن ما يسمى باقتصاديات العظمة عند النساء. كما أنه من خلال نظرية شبكة الفواعل عند برونو لاتور (Bruno Latour) التي تدرج الأشياء والنماذج والأدوات والحركات والعواطف في الفعل الاجتماعي، يمكن أن نعتبر الأعضاء الأنثوية مثل (الثدي والأرداف) من الفواعل الاجتماعية Actant، لأنها أعضاء مؤثرة وتستقطب العين والعقل والنفس. وبالتالي، كلما كانت المرأة ذات حسن وجمال، وتمتلك جسدا متناسقا وجذابا: (نهدين مرتفعين وأرداف بارزة)، إلا وكان هناك اعتراف بها داخل المجتمع، وهو ما يتجسد في بعض الصور الرمزية التي يتم تداولها في المجموعات والصفحات المغربية على منصة الفيسبوك، من قبيل: "خذها هازة أما دينها من بعد"، أي (تزوج المرأة ذات

1- Osire Glacier, 2017, Op. Cit, P.50.

2- بوركابي هي كلمة مغربية لها علاقة بالجنس، وتعني أن الرجل يملك ركلة ثالثة، وهي القضيب.

3- عند كتابة "الروتين اليومي المغربي" على خانة البحث في منصة اليوتيوب، سوف تظهر مجموعة من مقاطع الفيديو لنساء في وضعية جسدية ذات إحياءات جنسية.

4- Osire Glacier, 2017, Op. Cit, P.133.

الصدر والمؤخرة الكبيرين. أما أخلاقها فيمكن استدراكها فيما بعد)، وهو خطاب يتعارض مع الحديث الشريف (فاظفر بذات الدين تربت يداك).

5- على سبيل الختام:

يتميز الخطاب الجنسي في المجتمع المغربي بأنه متقلب ومتجدد، ويعبر عن السلطة، كما أنه يتأثر بالمساحات الافتراضية، الأمر الذي يجعل من الجنس مظهرا من مظاهر القوة والهيمنة. علاوة على ذلك، فإن الخطاب الجنسي عند مجموعة من الرجال والنساء يعبر عن الهيمنة الذكورية؛ فالرجال يعتبرون الجنس وسيلة ممتازة لفرض السيطرة على النساء. في حين أن النساء أصبحنا بدورهن يستخدمن الخطاب الجنسي كوسيلة ممكنة لمواجهة تلك السلطة (أي سلطة الرجال)، عن طريق استغلالهم لمواقع التواصل الاجتماعي.



6- المراجع:

- 1- جسوس، سمية نعمان. (2003)؛ بلا حشومة: الجنسانية النسائية في المغرب، ترجمة عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- 2- شبلي، مالك. (2010)؛ الجنس والحريم روح السراري: السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا الشرق.
- 3- مافيزولي، ميشيل. (2021)؛ في ظلال ديونيزوس: مساهمة في سوسيولوجيا المجون، ترجمة عبد الله زارو، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- 4- المرنسي، فاطمة. (2005)؛ ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، ط 4، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- 5- Dialmy, Abdessamad Interviews by Germán Sierra: «Arab men are told they are superior to women from a very early age», 09/01/2018: (<https://www.uoc.edu/portal/en/news/entrevistes/2018/001-abdessamad-dialmy.html>).
- 6- Ennaji, M. and F. Sadiqi. (1992) ; Introduction to Modern Linguistics. Afrique- Orient: Casablanca.
- 7- Glacier, Osire. (2017); Masculinity, and Sexuality in Morocco and Hollywood: The Negated Sex, Palgrave Macmillan.